القدّيس إيرينائوس والإفخارستيّا
القسم الأوّل: الإفخارستيّا وتناسق الإيمان

الأب جوزف بوحجر اليسوعيّ°

نقلها إلى العربيّة الخوري يوحنّا الحلو

في هذا النصف الثاني من القرن العشرين لا يزال مجال معارفنا يتّسع وفقًا لما تسمح به الوسائل العلميّة. لقد خطا الإنسان خطًى كبرى في التعرُّف إلى جسده ونفسانيّته دون أن يتمكّن، على ما يبدو، من اكتشاف هويّته. وبخلاف ذلك، فكلّ شيء يدلّ على انّ المادّيّة، في كلّ أشكالها، قد أخفقت، والعلم وحده عاجز عن إعطاء جواب مقنع ردًّا على الأسئلة الجوهريّة التي يطرحها الإنسان على ذاته قائلاً: مَن أنا؟ وما هو مصيري ومعنى وجودي؟ والنتيجة هي أنّنا نسعى جميعًا إلى البحث عن بُعدٍ روحيّ للحياة التي نتفرّج عليها، يُتَرْجَم في معظم الحالات بظهور شيعٍ متنوّعة جدًّا قديمة وحديثة تلتقي على نقطة واحدة وهي إعطاء جواب إلى معتنقيها، أيًّا كانت قيمته؛ وإنّما الحال ليست بجديدة في التاريخ.

إن كان على كنيسة اليوم أن تواجه، في كلّ مكان تقريبًا، حركةً تصاعديّة لتلك الشيَع، فقد كان لها أن تواجهها غير مرّة على مرّ تاريخها: ففي جوّ من التقدُّم الحضاريّ والرفاهية عَرَف الجيلان الثاني والثالث للميلاد لدى الإنسان قلقًا متناميًا وشكًّا حول إمكانيّة الوصول إلى حقيقة أكيدة خاصّة به. وأمام إخفاق العقلانيّة الإغريقيّة(1) والديانات التقليديّة وجد الإنسان ذاته عاجزًا عن

(°) باحث اختصاصيّ في آباء الكنيسة الشرقيّة. أستاذ في جامعة القدّيس يوسف، بيروت.

(1) لمعرفة العالم اليونانيّ الرومانيّ وتيّاراته الدينيّة في تلك الأيّام، راجع: A. J. FESTUGIERE. =

معرفة مصيره. إذذاك اتّجه نحو هذا الشكل أو ذاك من التديُّن، آملاً أن يجد جوابًا على تساؤله: هذا الأمر نجد له مثيلاً في أيّامنا الحاضرة.

لقد كان ذاك الحدث شاملاً فاضطرّ رعاة الكنيسة إلى مجابهة تلك الشيع التي أخذت تمتدّ بتأثيرها إلى أبناء رعاياهم. فالقدّيس إيريناوس، أسقف ليون نحو السنة ١٨٠، أعطى عن ذلك شهادة قيّمة ومحترمة فأصدر كتابًا عنوانه ضدّ الهرطقات[١] بيّن فيه اهتمامًا كلّيًا بالمجموعات المسيحيّة التي تتعرّض في كلّ مكان لمخاطر البِدَع وفيه تحدّث خصّيصًا عن حادثَيْن وقعا على طرفَيْ حوض البحر المتوسّط: أحدهما في آسيا الصغرى والآخر في وادي نهر الرُّون.[٢] أمام تحدٍّ من هذا النوع موجّه ضد الكنيسة بأسرها، وبصفة إيريناوس راعيًا أمينًا، فإنّه لم يستطع التزام الصمت بل وجد نفسه مضطرًّا إلى الكتابة تجاوبًا مع صديقٍ له سيّئ الاطّلاع على ذلك الموضوع[٣]. وفي جوابه الطويل على المقولات الغنوصيّة gnostiques اضطرّ إيريناوس إلى تناول عدّة نقاط أساسيّة من الإيمان المسيحيّ وأشهرها «الاستجماع في رئاسة المسيح»[٤]. بيد أنّ هناك

= *La Révélation d'Hermès Trismégiste*, t. I, *L'astrologie et les sciences occultes*, Gabalda, Paris, 1944, p. 1-18 وخاصّة الصفحة ٥. كما يمكن مراجعة مقدّمة كتاب: H. JONAS, *La religion gnostique*, Flammarion, Paris, 1978, p. 19-47.

(١) العنوان الكامل للكتاب هو: ضدّ الهرطقات. نقض ودحض للمعرفة ذات الاسم الكاذب. سنستعين بالترجمة الفرنسيّة التي قام بها الأب رُوسّو: Dom Adelin ROUSSEAU, *Contre les Hérésies: Démonstration et réfutation de la gnose au nom menteur*, Ed. du Cerf, Paris, 1984، علمًا أنّ الكتاب بأسفاره الخمسة صدر بنصّيه اليونانيّ واللاتينيّ، مشفوعًا بمقدّمات وحواشٍ وتعليقات وترجمة فرنسيّة، في سلسلة «المصادر المسيحيّة» *Sources Chrétiennes* (= S.C.), Le Cerf, Paris. Livre I: S.C. 263 et 264 (1979), Livre II: S.C. 293 et 294 (1982), Livre III: S.C. 210 et 211 (1974), Livre IV: S.C. 100 t. 1 et 2 (1965), Livre V: S.C. 152 et 153 (1969) وسنستشهد بعد الآن بكتاب إيريناوس على النحو التالي: ٣: ٣، ١ = السفر الثالث، الفصل الثالث، المقطع الأوّل.

(٢) يبدو أنّ معظم الضحايا من النساء. وقد كتب إيريناوس في كلامه عن مرقس الساحر، أحد رؤساء الشيَع: «إنّ أحد شمامستنا في آسيا استقبله فوقع ضحيّته...» (١: ١٣، ٥) و«بواسطة أحاديث وتصرّفات من ذلك النوع، فقد أغوى تلاميذ مرقس عددًا كبيرًا من النساء حتّى في مناطقنا بوادي الرُّون» (١: ١٣، ٧).

(٣) راجع ١: المقدّمة، ٢: «ليس من عادتنا التأليف ولسنا من المتمرّسين في فنون الخطابة».

(٤) راجع ٣: ٢١، ١٠ - ٢٣، ٨، وأفسس ١: ١٠، الحاشية ٩ من ترجمة الكتاب المقدّس الحديثة للآباء اليسوعيّين.

بناءً على جانب كبير من الأهمية في نظر إيريناوس، كما يبدو، وهو موضوع الإفخارستيّا الذي أصبح بين يديه عرضًا ومحورًا للإيمان المسيحيّ بكامله[1]. وعليه فإنّ الإفخارستيّا تكوّن ردًّا على أخصامه كيف لا؟ وتعليم الكنيسة عن الخالق والخليقة وعن التجسّد وقيامة الأجساد في إطار وحدة العَهدَيْن يدور حول ذاك الموضوع[2]. إن كانت الإفخارستيّا سرّ تجمُّع جسد المسيح، فهي أيضًا في نظر إيرينايوس ما يجمع في ذاته عقائد الإيمان المسيحيّ قاطبة.

سوف نحاول في هذه المقالة إبراز صحّة هذا القول من خلال درسنا للنصَّيْن الأساسيَّيْن اللذين يعالِج فيهما موضوع الإفخارستيّا فنأخذ الأوّل من الكتاب الرابع والثاني من الكتاب الخامس؛ ولكن قبل أن نكبُّ على درسهما علينا أن نقول، من جهة، كلمة في إيرينايوس بالذات وفي مؤلَّفه، ومن جهة أخرى أن نحدِّد مركزهما من الكتاب.

١ - إيرينايوس

ماذا نعرف عن إيرينايوس؟ بالحقيقة، إنّنا نعرف عنه القليل. لقد وُلد في آسيا الصغرى ومن المرجَّح أن يكون قبل السنة ١٥٠. إستنادًا إلى رسالة له موجَّهة إلى فلُورينوس الهرطوقيّ[3] وإلى ما جاء في كتابه ضدّ الهرطقات[4] يمكننا القول إنّ إيرينايوس قضى صباه في مدينة إزمير Smyrne حيث هو وفلورينوس استمعا معًا إلى تعليم بوليكربوس أسقف تلك المدينة، علمًا أنّ

(١) وذلك ما أدركه إيرينايوس جيّد الإدراك، فقد قال: «أمّا نحن، فطريقتنا في التفكير تتناسب والإفخارستيّا، والإفخارستيّا في دورها تثبّت طريقتنا في التفكير» (٤: ١٨، ٥).

(٢) كتب ج. لُوسُن في هذا الصدد ما ترجمته: «وهكذا تنطق الإفخارستيّا بأنّ الإله الأسمى هو خالق، وتنطق بتجسّد الربّ، وبقيامة الأجساد، وبوحدة ديانات العهدين الجديد والقديم» J. LAWSON, *The Biblical Theology of Saint Irenaeus*, The Epworth Press, London, 1948, p. 271

(٣) راجع: أوسابيوس القيصريّ: تاريخ الكنيسة، السفر الخامس، الفصل ٢٠: ٤، ٨ («المصادر المسيحيّة»، ٤١، ١٩٥٥، ص ٦١ - ٦٣).

(٤) «لقد شاهدناه نحن في مطلع شبابنا» (ضد الهرطقات ٣: ٣، ٤). واطلب: أوسابيوس، تاريخ الكنيسة ٥: ٥، ٨: «وعلمنا أنّه كان في شرخ شبابه من المستمعين إلى بوليكربوس».

بوليكربوس كان تلميذًا للرسل و«على اتّصال بيوحنّا»[1] وعرف «آخرين ممّن رأوا الربّ»[2]. وهذا الأمر أساسيّ في نظر إيريناويوس. وانطلاقًا من ذلك الواقع فقد كان إيريناويوس تلميذًا لأحد تلاميذ الرسل الذين كانوا بدورهم تلاميذ الربّ. وبالتالي فإنّ إيريناويوس يستطيع أن يرتقي بدوره إلى المسيح بالذات من حيث التعليم الذي قبله ويسلّمه إلى الآخرين... ومع عدم وجود أيّة وثيقة تثبت أنّ إيريناويوس مكث بعض الوقت في روما فلا بأس من الاعتقاد بأنّه عاش فيها زمنًا وهو ما يشير إليه كتابه ضدّ الهرطقات حيث يعطي لائحة بأساقفة الكنيسة في روما منذ أن تأسّست[3] ويعرف الشيء الكثير عن القدّيس يوستينوس[4] وعن رؤساء الشيَع الغنوصيّة الذين أقاموا فيها.

يعرض لنا أوسابيوس القيصريّ في الفصلَيْن الرابع والخامس من سِفره الخامس من تاريخ الكنيسة وثيقتَيْن هامّتَيْن عن إيريناويوس حيث يقول إنّ شهداء ليون في سنة ١٧٧[5] أرسلوه إلى روما لمقابلة البابا إلوتير Eleuthère (١٧٤ - ١٨٩) بصفته «كاهنًا في كنيسة» ليون[6]. فضلاً عن ذلك فإنّ أوسابيوس يخبرنا أنّ إيريناويوس أصبح أسقفًا على ليون بعد استشهاد الأسقف القدّيس پوتان Pothin بعمر ٩٠ سنة[7].

ما من أحد يعرف تاريخ الوفاة وظروفها؛ إنّما نعرف أنّ التدخّل الأخير لإيريناويوس في حياة الكنيسة تمّ بمناسبة الخلاف الناشب بين البابا ڤيكتور (١٨٩ - ١٩٩) وأساقفة آسيا الصغرى حول تاريخ عيد الفصح[8] فكتب إيريناويوس وأساقفة آخرون إلى البابا يتهدّئه الخلاف المتفاقم الذي كاد يفضي

(١) أطلب: أوسابيوس، تاريخ ٥: ٢٠، ٦. لن نتطرّق هنا إلى محاولة تحديد هويّة يوحنّا هذا. راجع في هذا الموضوع: L. DOUTRELEAU, *Dictionnaire de Spiritualité*, art. IRENEE, col. 1925-1926 (+ bibliographie).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) أطلب ٣: ٣، ٣.

(٤) المصدر نفسه، ١: ٢٨، ١ - يستشهد إيريناويوس بيوستينوس مرّتين في ٤: ٦، ٢، و٥: ٢٦، ٢.

(٥) دوّن أوسابيوس رواية استشهادهم في كتابه ٥: ١، ١ - ٢، ٨

(٦) ٤: ١ - ٢.

(٧) ٥: ٥، ٨.

(٨) راجع أوسابيوس، تاريخ ٥: ٢٤، ٩ - ١٨.

يباب إلى إلقاء الحرم على الأساقفة في آسيا الصغرى؛ وبما أنّ البابا قد توفي سنة ١٩٩ فلا يُستبعَد أن تكون مداخلة إيرينايوس قد جرت حول ذلك التاريخ أو قبله. وبعضهم يجعل تاريخ وفاته في فجر الجيل الثالث نحو السنة ٢٠٢، بيد أنّ البراهين تنقصنا(١).

لم تصلْنا مؤلّفات إيرينايوس كاملة. يقول أوسابيوس إنّه بعث برسالتَيْن إلى هراطقة يعيشون في روما(٢): إحداهما إلى بلاستوس عن الانشقاق والأخرى إلى فلورينوس الذي تعرّف إليه في إزمير عنوانها: في وحدة الله أو في أنّ الله ليس خالقًا للشرّ(٣). وكتب إيرينايوس كذلك ضدّ فلورينوس مقالة بعنوان: مقالة في الثمانيّة Ogdonde(٤). ولم يبقَ لنا من المقالتين الأخيرتين سوى المقاطع التي يستشهد بها أوسابيوس.

وكتب إيرينايوس «مقالة ضدّ الإغريق... عنوانها: في العلم» وكتيّبًا تحت عنوان أحاديث متنوّعة(٥). فلم يبقَ من كلّ ذلك شيء، إنّما ما وصل إلينا هما: تبيان الكرازة الرسوليّة الموجّه إلى شخص يُدعى مرقيانوس(٦)، والمؤلّف الكبير ضدّ الهرطقات في خمسة أسفار؛ كما أنّنا لا نملك من هذين المؤلّفين في النصّ اليونانيّ الأصليّ سوى بعض مقاطع من الكتاب ضدّ الهرطقات.

---

(١) حول تاريخ وفاة إيرينايوس وتلقيبه بالشهيد، أطلب: M. JOURJON, art. IRENEE (Saint), dans *Catholicisme*, t. VI, 1967, col. 82-83. et L. DOUTRELEAU, art. IRENEE DE LYON (Saint), I. *Vie*, dans *Dictionnaire de Spiritualité*, t. VII, 1971, col. 1930-1931 (+ bibliographie).

(٢) تاريخ الكنيسة ٥: ٢٠، ١.

(٣) راجع المقطع المذكور في تاريخ الكنيسة ٥: ٢٠، ٤ ـ ٨.

(٤) تاريخ الكنيسة ٥: ٢٠، ١-٢

(٥) تاريخ ٥: ٢٦.

(٦) المصدر نفسه. ـ لا وجود للمؤلّف المذكور إلاّ في ترجمته الأرمنيّة المنشورة في مجموعة الآباء الشرقيّين ١٢، ٥ (باريس، ١٩١٩). وهناك ترجمة جديدة فرنسيّة صدرت مع مقدّمة وحواشٍ مهمّة L.M. FROIDEVAUX, S.C. 62, Paris, 1959.

٢ ـ الكتاب «ضدّ الهرطقات»

أ ـ السِفران الأوّل والثاني

وفقًا لما قلناه آنفًا إنّ إيريناوس اكبّ على العمل في مواجهة تلك البدع تجاوبًا مع رسالته الراعويّة وردًّا على سؤال وجّهه إليه صديق له، مقرِّرًا، من جهة «فضح أسرارهم العميقة والعجيبة» بما في فجته من سخرية، ومن جهة أخرى، تقديم «الوسائل اللازمة المتوفّرة لدى إمكاناتنا المتواضعة، دحضًا لها وإظهارًا لسخافتها»[1] . . . فابتغى إيريناوس هدفًا مزدوجًا في السفرين الأوّل والثاني من كتابه: عرض لتعاليم البِدَع ودحضها.

في السفر الأوّل يقوم إيريناوس بعرض رائع لما عرفه عند الغنوصيّين والشيَع المشابهة من عقائد ونظرة إلى تكوين العالم و«أسرار»، فيكشف كتابه ذاك شموليّةً في الاطّلاع لديه وصوابيّة في ما يؤكّده. ونورد، مثالاً على ذلك، قوله: «ولهذا بعد قراءة الشروح التي يعطيها تلاميذ ڤالنتينُوس[2] . . . وبعد التقاء البعض منهم والولوج في صميم تعاليمهم. . .[3]».

إضافة إلى ما تقدّم يمكننا أن نزيد مرجعًا آخر إعلاميًّا نجده في مطالعة كتابه يستند إلى ما لمسه شخصيًّا من أضرار وما أخبره عنه كهنة ومؤمنون

---

(١) ضد الهرطقات ١: المقدّمة، ٢.

(٢) يرى القدّيس أيفانيوس السلاميني أنّ ڤالنتينوس ولد في مصر وترقّى في الإسكندريّة، ودرّس في مصر قبل أن يذهب إلى روما. وهذا ما أكّده إيريناوس حيث قال: «لقد جاء ڤالنتينوس إلى روما في عهد البابا هيجينوس (١٣٦ـ ١٤٠)، ووصل إلى القمّة في أيّام البابا بيوس (١٥٠ ـ ١٥٥) وظلّ في روما حتّى مجيء أنيقيتُوس (١٥٥ ـ ١٦٠) (ضد الهرطقات ٣: ٤، ٣). وزاد أيفانيوس أنّ ڤالنتينوس رحل من روما إلى قبرص. وتتلمذ عليه الكثيرون ونُسبت إليه مدرستان: الشرقيّة والإيطاليّة. ومن تلاميذه الذين خلّفوا اسمًا، ثلاثة: بطليموس، من أتباع المدرسة الإيطاليّة، وقد حفظ لنا القدّيس أيفانيوس رسالةً منه إلى امرأة تُدعى فلورا؛ وآخر اسمه هيراقليُون، من المدرسة الإيطاليّة أيضًا، أورد أوريجانِس عدّة مقاطع من شرحه لإنجيل يوحنّا؛ وثالث هو ثيودُتُس، من أتباع المدرسة الشرقيّة، جمع اكليمنضُس الإسكندري بعض مقاطع من مؤلّفاته.

(٣) ضد الهرطقات ١: المقدّمة، ٢.

ومسيحيّون آخرون عادوا إلى الإيمان الحقّ بعد أن وقعوا في فخاخ تلك البدع [١] .

ينشط إيريناوس في السفر الثاني من كتابه، وفقًا لما تحدّث عنه في مقدّمة السفر الأوّل، إلى القيام بدحض منظّم للنقاط الأساسيّة التي تضمّنتها تعاليم المراطقة وخاصّة المذهب الفالنتيني [٢] متّخذًا، معظم الأحيان، العقل منطلقًا للدحض، ومبيّنًا ما تحتويه تعاليمهم من تناقضات داخليّة وما تنطوي عليه من سخافة وقلّة انسجام. فلنستمع إليه يقول: «إنّ ما قلناه الآن كافٍ لإظهار مدى ضعف مذاهب المراطقة وميوعها فضلاً عن حماقتها» [٣] .

ب ـ الأسفار الثالث والرابع والخامس

ولكن، وفقًا لقول إيريناوس ذاته «إذا كان كتابٌ واحد كافيًا لفضحها فيلزم لدحضها عدّة كتب» [٤] . وسرعان ما يلاحظ أنّ ليس الموضوع مشروعًا عقليًّا ونقاشًا يدور بين علماء، لأنّ الغنوصيّين أنفسهم يستعملون الكتب المقدّسة استعمالاً خاصًّا بهم ويفسّرونها تفسيرات مغلوطة وباطنيّة تفسد المؤمنين في الكنيسة وتؤذيهم. إنذاك لا يكتفي إيريناوس بنقض مساوئهم ودحضها وحسب [٥] ، وذلك شأن جدليّ لا يكتفي به ولا يتوقّف عنده بالرغم من المظاهر. إنّما يتأثّر إيريناوس، بصفته راعيًا، للمضار التي تلحقها بالرعيّة تلك المناظرات الجدليّة ويجد نفسه مضطرًّا إلى الردّ على هجمات البدع ضدّ إيمان الكنيسة بالذات.

ويشعر إيريناوس بضرورة إضافة تعليم إيجابيّ إلى السفرَيْن الأوّل والثاني حتّى إذا كانت للغنوصيّين قضاياهم فله هو أيضًا قضيّته وهي قضيّة الكنيسة

(١) أطلب: F-M-M. SAGNARD, *La Gnose valentinienne et le témoignage de saint Irénée*, Vrin, Paris, 1947, p. 96.

(٢) ما زال قول الأب سانيار فيه (راجع الحاشية السابقة) نافذًا ملائمًا.

(٣) ٢: ١٩، ٨.

(٤) ٣: المقدّمة.

(٥) من أجل معرفة هذا الفنّ الأدبيّ، أطلب الدراسة الشائقة التالية: A. HOUSSIAU, *La Christologie de saint Irénée*, Louvain, 1955, p. 7 notes

لأنّ ما تؤمن به الكنيسة وتعلّمه متناسق كلّيًا مع أقوال الكتب المقدّسة وتعاليمها وما عليه إلاّ أن يبرهن عنها[1] . ففي آخر السفر الثاني وبداية الثالث يُطلعنا إيرينايوس على نيّاته قائلاً: إنّ الذين يقولون «إنّ الأنبياء تنبّأوا من قِبَل آلهة مختلفة، سوف ندحض أقوالهم بسهولة استنادًا إلى أنّ الأنبياء بأسرهم كرزوا بإله واحد وربّ واحد خالق السماء والأرض. . . وبشّروا بمجيء ابنه[2] كما سوف نبرهن عن ذلك بواسطة الكتب ذاتها في الأسفار التالية» (٢: ٣٥، ٢)[3]. «وفي هذا السفر الثالث سنضيف براهين مقتبسة من الكتب المقدّسة» (٣، المقدّمة).

١ ـ ولّما كانت الكتب المقدّسة أساس تبيان إيريناوس، فإنّه يباشر السفر الثالث بإظهار حقيقة هذه الكتب وأصالتها علمًا أنّ الكنيسة تستند عليها في تعاليمها ومعها تتّفق (فصل ١ إلى ٥). ويعتبر إيرينايُوس مرحلتَيْن في الكتب المقدّسة: الإعلان (العهد القديم = الأنبياء)[4] وتحقيق ما أُعلن عنه (العهد الجديد). يميِّز أسقف ليون بين ما قاله السيِّد المسيح في خطبه والأمثال وما قاله الرسل بمَن فيهم بولس والإنجيليّون، فيمكنه بالتالي الاستعانة بشهادة ثلاثيّة: شهادة الأنبياء الذين نطق بهم الروح وشهادة الربّ وشهادة الرسل تلاميذه[5] .

بعد أن أظهر إيرينايوس بشكل مقدّمة حقيقة الكتب التي كان الهراطقة يشكّون فيها، انبرى يدافع عن صوابيّة قضيّته الأولى وهي أنّ الله واحد، خالق لكلّ موجود (فصول ٦ إلى ١٥)، ثمّ انتقل إلى قضيّته الثانية وهي أنّ المسيح

(١) أطلب في هذا الشأن المرجع السابق، ص ٧ ـ ٨، وكذلك: A. ROUSSEAU, chap. 6 de son introd. au Livre III des *Contre les Hérésies*, *S.C.* 210, p. 171-172.

(٢) بهذه الكلمات ينهي إيرينايوس بمضمون سفره الثالث وقسميه: ١) إله واحد خالق الكلّ (٣: ٦ ـ ١٥)، ٢) ابن الله واحد ومتجسّد (٣: ١٦ ـ ١٨).

(٣) أطلب أيضًا ٢: ٣٥، ٤.

(٤) لا ينبغي أن تؤخذ كلمة «أنبياء» الواردة هنا بمعناها الحصريّ على نحو ما ألفه المفسّرون المعاصرون. إذ نقول اليوم: أشعيا النبيّ، إلخ. فالكنيسة الأولى كانت تعدّ جميع كتّاب الأسفار المقدّسة أنبياء: موسى، داود، إلخ. والعهد القديم، بصفة كونه إعلانًا لما سيتمّ في العهد الجديد، كان يعتبر نبويًا برمّته ولا بأسفار الأنبياء وحدها. وهكذا ارتأى إيرينايوس.

(٥) للاطّلاع على استعمال إيرينايوس للكتب المقدّسة وعلى شهادتها المثلّثة، راجع: B. SESBOUE, *La preuve par les Ecritures chez saint Irénée*, *Nouvelle Revue Théologique*, (103) 1981, p. 872-887.

و[illegible] التي يستجمع في ذاته حقيقته (الفصول ١٦ إلى ٢٣). وختمًا لذلك السفر (الفصلان ٢٤ و ٢٥) يذكّر إيرينايوس بأنّ التقليد الأصيل لتعليم الربّ موجود في الكنيسة وحدها وأنّ فيها وحدها روحَه، روح الحقّ: «لأنّه حيث الكنيسة فهناك روح الله؛ وحيث روح الله فهناك الكنيسة والنعمة كلّها. والروح هو حقيقة» (٣: ٢٤، ١). أمّا من حيث استعماله للكتب المقدّسة فإنّ إيرينايوس يستعين في بداية الأمر بالشهادات الثلاث التي يعرفها فيها، وهي شهادة الأنبياء في العهد القديم، وشهادة الربّ وشهادة الرسل[1]. وانطلاقًا من الفصل التاسع يستعين بشهادة مزدوجة للأنبياء والرسل، على أن يعود إلى شهادة الربّ لاحقًا في سفره اللاحق على حدّ قوله بالذات[2].

٢ ـ يعود إيرينايوس، في سفره الرابع، إلى قضيّته عن وحدانيّة الله في العهدَيْن. إنّما، التزامًا منه بوعده، سوف يستعين بكلام الربّ ليبرهن عن قضيّته فيثبتها بادئ ذي بدء استنادًا إلى أقوال الربّ بأنّ إله العهدَيْن القديم والجديد هو إله واحد أحد (من الفصل الأوّل إلى الفصل ١٩) ومن ثمّ ينطلق من أمثال الربّ تبيانًا للقضيّة عينها (من الفصل ٣٦ إلى ٤١).

وماذا عن الفصول الممتدّة من ٢٠ إلى ٣٥؟ إذا قلنا، تجاوبًا مع تعليم الهراطقة، إنّ هناك إلهَيْن، نصل إلى النتيجة القائلة بوحيَيْن يأتياننا من مصدرَيْن مختلفَيْن. وبالتالي فإنّ هذَيْن الوحيَيْن خاليان من أيّ رباط يجمع بينهما ولذلك يشمر إيرينايوس بحاجة إلى التأكيد أنّ الكنيسة، وهي تتبع في هذا الموضوع تعليم الربّ والرسل، تعتقد وتعلّم أنّه ما دام الله واحدًا فالوحي أيضًا واحد؛ وإن وُجد عهدان فليسا سوى وجهين لحقيقة واحدة ووحي واحد.

العهد القديم هو الإعلان النبويّ للعهد للجديد والجديد هو تتمّة للأوّل. في هذا الجزء الثاني من السفر يستعين إيرينايوس خاصّة بشهادة

---

(١) أطلب الفصول ٦ إلى ٨.

(٢) قال: «سنورد في السفر التالي كلمات الربّ لتكميل ما سبق قوله» (٣: ٢٥، ٧). وتضمّن المقطع الأخير صلاةً مؤثّرة من أجل اهتداء الهراطقة وعودتهم إلى حضن الكنيسة.

الأنبياء[1] وفقًا لما أعلنه سابقًا[2] ويعود إلى العهد الجديد ليبيّن أنّه تتمّة، فضلاً عن أنّنا نجد مثلاً عن الطريقة التي تقرأ بها الكنيسة (رعاةً ومؤمنين) وتفهم العهد القديم في ضوء الجديد؛ وذاك ما يسمّيه لبعض «قراءة كنسيّة»[3].

في ختام السفر الرابع يدرك إيريناوس أنّه لم يستنفد كلّ ما في الكتاب المقدّس ولا سيّما العهد الجديد منه فيقول: «سوف نعرض في سفر آخر لما بقي من أقوال الربّ التي تحدّث فيها عن الآب، لا بأفعال بل بألفاظ حقيقيّة، كما نعرض لشرح رسائل الرسول الطرطاويّ (= بولس) ونقدّم، إذذاك، بنعمة الله، مؤلّفنا كاملاً، الذي عنوانه: نقض ودحض الغنوصيّة ذات الاسم الكاذب» (٤: ٤١، ٤٠).

٣ ـ يذكّر بذلك الامر في مقدّمة سفره الخامس ثمّ يستوحي في القسم الأوّل (فصل واحد إلى ١٤) ـ وموضوعه يدور حول قيامة الأجساد[4] ـ الشهادة المزدوجة التي للأنبياء ولرسائل بولس. وفي القسم الثاني (فصل ١٥ إلى ٢٤) نجد شهادة مزدوجة للأنبياء وللربّ ويناقش فيه الوحدة بين الإله الخالق (إله العهد القديم) والله، أب يسوع المسيح (إله العهد الجديد).

بيد أنّ العهد الجديد يتضمّن كتابًا لم يتطرّق إليه إيريناوس وهو كتاب «رؤيا يوحنّا»، ولهذا السبب نجده يستعمل في الجزء الثالث والاخير من سفره (فصل ٢٥ إلى ٣٦) شهادة مزدوجة من الأنبياء والرؤيا ليردّ بواسطتها على تعليم الهراطقة عن الأزمنة الأخيرة.

ويختتم إيريناوس مؤلّفه برجوعه مرّة أخيرة إلى الكتب المقدّسة في شهادتها

(١) هذا ما قاله إيريناوس في مطلع الجزء الثاني المذكور: «كانوا (أي الأنبياء) يرون بعضها (أي أعمال المسيح) برؤىً، ويعلنون بعضها بكلمات، ويعنون بعضها الآخر بمثليها بأعمال» (٤: ٢٠، ٨).

(٢) راجع ٢: ٣٢، ٤.

(٣) حول هذه القراءة الكنسيّة أطلب خاصّةً الفصول ٢٧ إلى ٣٢، وهي تفسير لأحد الكهنة. راجع PH. BACQ, *De l'ancienne à la nouvelle Alliance selon S. Irénée*. P. Lethielleux, Paris, 1978, Annexe III, p. 343-361

(٤) هذا الموضوع، وإن يكن ثانويًا بالمقارنة مع موضوع وحدانيّة الله، إلاّ أنّه ينتج عنه، وهو من الأهمّيّة بمكان. فإذا أنكر الهراطقة أنّ الخالق هو الإله الحقّ، ينتج أنّ الجسد، وهو من صنع الخالق، شرّير ولا نصيب له في الخلاص الذي هو وقف على الإله الحقّ.

الإلهيّة قائلاً: «وعليه فإنّ يوحنّا قد رأى مسبقًا القيامة الأولى... والأنبياء من جهتهم كانوا قد تنبّأوا عن تلك القيامة على تمام الاتّفاق مع يوحنّا. وذلك ما علّمه بالضبط الربّ ذاته» (٥:٣٦،٣).

وعلى هذا النحو فإنّنا نختم مطالعتنا السريعة لكتاب إيرينايوس، الذي بحكم وفائه لقصده، برهن عن أنّ الإنسان لا يستطيع أن يستعين بالكتب المقدّسة تعزيزًا لقضايا مضادّة لمضمون الوحي، إلاّ إذا استعمل طريقة مغلوطة لتفسير الكتاب المقدّس. إذا ما أخذنا الكتب المقدّسة بكاملها وطالعناها بحسب قاعدة الحقيقة، وجدناها تدلّ من خلال تناسقها الداخليّ[1] على أنّه من المستحيل القبول بمبدأ وجود إلهَيْن وبكلّ ما يتبع ذلك....

٣ ـ نصّا إيريناوس عن الإفخارستيّا (٤:١٨،٥ و٥:٢،٣)

أ ـ الإطار العامّ للنصّ الأوّل (٤:١٨،٥)

قبل المباشرة بدرس النصّيْن المتعلّقين بالإفخارستيّا في كتاب إيريناوس علينا أن نضعهما في إطارهما.

نبدأ بالفصل الأوّل فنرى أنّ إيريناوس يختم قسمًا من السفر الثالث المكرّس لشهادة الإنجيليِّين وسائر الرسل قائلاً:

«في ما يختصّ بنا وفي إطار مقالتنا سوف نتحدّث عن سبب الفرق بين العهدَيْن وفي الوقت عينه سنتكلّم عن الوحدة والتناسق بينهما» (٣:١٢،١٢).

إنّه الإعلان عن موضوع سفره الرابع. ووفقًا لما قلناه سابقًا[2] سوف يُبرهن إيريناوس عمّا بين العهدَيْن من وحدة وفرق في الجزء الأوّل من السفر (فصل أوّل إلى ١٩) بفضل التوافق الحاصل بين شهادات الأنبياء وشهادات أقوال الربّ. ويرمي إيريناوس إلى تبيان وحدانيّة الله ومن خلالها وحدانيّة

---

(١) يبرهن إيريناوس تناسق عمل الكتب المقدّسة ووحدة العهدَيْن، باستناده إلى شهادات ثلاث: شهادة الأنبياء والمسيح والرسل.

(٢) أطلب الصفحة ١٢٣.

صاحب العهدَيْن. والنصّ الذي سوف ندرسه هو من ضمن هذا الجزء الأوّل.

١ ـ إنّ المدارس الغنوصيّة المختلفة متّفقة على الفصل بين الخالق ـ إله العهد القديم، أيّ إله الشريعة ـ والله، أبي الربّ. وبالتالي فإنّ إيرينايوس يبيّن في مقطع أوّل (١:١ إلى ٥:١) أنّ المسيح ذاته أعلن عن الله الخالق والمُعطي الشريعة، وسمّاه أباه [١] فضلاً عن أنّ أقوال المسيح مطابقة لما جاء في كتاب موسى [٢].

٢ ـ لم يعبد الآباء والأنبياء إلّا غير إله يسوع المسيح؛ ذلك ما يؤكّده إيريناايوس في مقطع ثان (٢:٥ إلى ٨:١) وعرف إبراهيم الله الخالق بفضل «الكلمة»، وكلّ الذين آمنوا بالإله الواحد الحقيقيّ ـ بمَن فيهم مسيحيّو العصر الحاضر ـ هم له أبناء:

«وعليه فليس سوى إنه واحد أحد. هو الذي دعا إبراهيم وأعطاه الوعد، هو الخالق الذي يقيم بالمسيح «كلّ مَن يؤمنون به من الوثنيّين، منارات في العالم» (٤:٧،٣).

٣ ـ تبقى مسألة الشريعة التي أعلنها موسى. فالهراطقة يهاجمونها في نقطتَين. يقول مَرقيُون المرطوقيّ [٣] إنّ المسيح خالَفها؛ وإذا خالفها السيّد

(١) يستند إيريناايوس إلى كلام المسيح في متّى ٢٣: ٩، و١١: ٢٥، و٥: ٣٤ ـ ٣٥.
(٢) أطلب: ٤: ٢، ٣. في كلام المسيح أطلب: يوحنّا ٥: ٤٦ ـ ٤٧، ولوقا ١٦: ٣١.
(٣) ولد مرقيون في سينوب (بتركيا الحاليّة) على البحر الأسود. كان في روما سنة ١٤٠، وروى إيريناايوس «أنّه بلغ أوجه في أيّام البابا أنيقيتوس (١٥٥ ـ ١٦٦) الذي كان العاشر في تولّي الأسقفيّة» (٣: ٤، ٣). وكان والده أسقفًا، ورُشق بالحرم في روما بتمّوز ١٤٤ فأسّس كنيسة خاصّة به. ويخبرنا إيريناايوس أنّه كان يرفض كتب العهد القديم في حين يقبل ببعض نصوص من العهد الجديد تناسب مقولاته (أطلب ١: ٢٧، ٢ ـ ٣)، ذلك بأنّه يفصل بين الإله الصالح، إله العهد الجديد (إله يسوع المسيح) والمبدع الطالح للعالم (= الخالق) المنوّه به في العهد القديم. وما يحتفظ به مرقيون من العهد الجديد هو إنجيل لوقا ـ بعد تشذيبه ممّا يدّعي أنّه زيادات قام بها اليهود ـ وبعض رسائل بولس حذف منها عددًا من المقاطع. وهو ينبذ الرسائل الراعويّة والرسالة إلى العبرانيّين. لمّا أتباعه فكانوا كُثرًا في الشرق حتّى القرن الخامس، ولم يختفِ أثرهم إلّا في العصر الوسيط. ـ يمكن مراجعة للمصادر التالية: *Dictionnaire de Théologie Catholique*, 2, 1927, col. 2009-2032, art. MARCION (E. Amann); *Dict. de la Bible, Supplém.*, 5, 1954, col. 862-869, art. MARCIONITES (G. Bardy); *Dict. de Spiritualité*, 10, 1980, col. 311-321, art. MARCION (G. Pelland).

المسيح فلأنّها غريبة عن [illegible] التي [illegible] عهد الجديد على حدّ قول الغنوصيّين[1]، وبتعبير آخر إنّ شريعة الإنجيل، بقول تلاميذ مرقيون[2]، تناقض وتنسخ شريعة العهد القديم. أمّا ردّ إيريناوس على تلك الاعتراضات فيأتي في المقطع الثالث (٨:٢ إلى ١١:٤).

ردًّا على الاعتراض الأوّل يبيّن إيريناوس أنّ الربّ بدلاً من أن يخالف شريعة السبت كما كان يلومه الفرّيسيّون، كان يكمّلها «منفّذًا عمل الكاهن الأعظم» (٢،٨). أمّا في ما يختصّ بالاعتراض الثاني فإنّ إيريناوس يبيّن، انطلاقًا من كلام السيّد المسيح[3] أنّ شريعة الإنجيل الجديدة تستعيد شريعة العهد القديم وتكمّلها وتسمو عليها. وجوابه هذا ينطلق من تعليمه الذي يظهر فيه نموّ الإنسان التدريجيّ نحو الله وفيه وفقًا لما يشرحه تاليًا:

«وكما أنّ الأنبياء عرفوا الميثاق الجديد وأنبأوا به، كذلك فإنّ مَن كان مزمعًا أن يؤسّسه بُشّر به هو أيضًا وفقًا لرغبة الآب وأُظهِرَ للناس كما أراد الله، لكي ينمو باستمرار جميع الذين يضعون ثقتهم فيه ويبلغوا بواسطة المواثيق المختلفة إلى كمال الخلاص النهائيّ إذ إنّ الخلاص واحد والله واحد. بيدَ أنّ بلوغ الإنسان إلى كماله يتطلّب عدّة وصايا، وكثيرة هي الدرجات التي ترفعه إلى الله» (٤:٩،٣).

وبإيجاز، إن كان لا بدّ من التمييز بين العهدَين، فإنّه أشبه بالتمييز بين الصورة والواقع في حقيقة واحدة، بين الإعلان عن هذه الحقيقة واكتمالها، علمًا بأنّ «الجوهر هو عينه» (٤:٩،٢). ويعتقد إيريناوس اعتقادًا راسخًا بأنّه «في الواقع نرى أنّ ابن الله مزروع في الكتب الموسويّة برمّتها» (٤:١٠،١).

---

(١) موقف الغنوصيّين الفالنتينيّين، راجع ما كتبه بطليموس، تلميذ فالنتينوس، إلى امرأة تُدعى فلورا أراد دفعها إلى اعتناق الغنوصيّة. حُفظت لنا هذه الرسالة في كتاب القدّيس أبيفانيوس السلاميني (القرن الرابع) الموسوم بـ پناريون (أي علبة الأدوية) ٣٣: ٣، ١ إلى ٧، ١٠ وقد نشر نصّها اليونانيّ وترجمته الفرنسيّة، مشفوعةً بالحواشي، في سلسلة «المصادر المسيحيّة» (S.C. No 24, par G. QUISPEL, Le Cerf. Paris, 1949)

(٢) راجع ٤: ١٣، ١.

(٣) مثلاً: متّى ١٢: ٦، ٤١، ٤٢، ويوحنّا ١: ٥٠؛ واطلب أيضًا: ٤: ١٠، والاستشهاد يوحنّا ٥: ٤٦.

٤ ـ في المقطع الرابع (٤ : ١٢ ـ ١٣) يبيّن لنا إيريناوس، استنادًا إلى أقوال المسيح، أنّ شريعة الإنجيل الجديدة تكمّل الشريعة الموسويّة، وتشترك الشريعتان بمحبّة الله والقريب؛ وتَرْقى «الوصايا الطبيعيّة» إلى الخلق ولهذا السبب يطلب السيّد المسيح من سامعيه أن يحفظوا الشريعة دون الاكتفاء بها «لأنّ الربّ لم يُلغها بل جعلها شاملة وأكملها» (٤ : ١٣، ١)[١]. ويختتم إيريناوس ذلك القسم من كتابه بكلمة من السيّد المسيح في يوحنّا ١٥ : ١٥ مبيّنًا أنّ شريعة الله ووصاياه ليست موجّهة إلى عبيد بل إلى أصدقاء يحبّهم.

٥ ـ يعبّر الإنسان عن محبّته لله بخدمته له، وخدمة الله، منذ الخلق، التي أوصت بها الشريعة، لم تكن إلاّ من أجل خير الإنسان ليتمكّن من قبول هبات الله. والإنسان لا يزيد الله شيئًا. وهذا الموضوع هو ما يناقشه إيريناوس في المقطع الخامس (٤ : ١٤ ـ ١٦)[٢] مستعرضًا سائر وصايا الشريعة التي يسمّيها «وصايا العبوديّة»[٣] ومبيّنًا كيف أنّ الله كان يتصرّف تجاه شعبه ليربّيه ويوصله تدريجيًّا إلى حرّيّة أبناء الله[٤].

٦ ـ في المقطع السادس والأخير (٤ : ١٧ ـ ١٩) من الجزء الأوّل من السفر الرابع، يردّ إيريناوس على مرقيون القائل بأنّ الربّ قد ألغى إلغاءً قاطعًا ذبائح الشريعة الموسويّة التي كان الله قد رفضها. وعلى هذا النحو يتطرّق إلى ناحية العبادة في شريعة العهدَيْن اللذين عرفا التقادِم، وهذا ممّا يدلّ على التواصل بين العهدَيْن. على أنّه لا يعني أنّ الله كان بحاجة إلى تلك التقادِم، إنّما «إن كان قد طلبها من الناس فلمصلحة مَن يقدّمها، أي الإنسان» (١٧ : ١).

وفي ما يختصّ بالعهد القديم يستنتج إيريناوس قائلاً:

---

(١) في هذا المقطع يستند إيريناوس إلى إنجيل متّى ١٥ : ٣، و٢٢ : ٣٧ ـ ٤٠، و٢٣ : ٢ ـ ٤، و١٩ : ١٧ ـ ٢١، و٥ : ١٧، ٢٠، ٢٧ ـ ٢٨، ٢١ ـ ٢٢، ٣٣ ـ ٣٤، ٤٠ ـ ٤١.

(٢) طالع نصّ الفصل ١٤، وهو نصّ جيل.

(٣) ٤ : ١٦، ٥.

(٤) في ١٦ : ٥ يختصر إيريناوس فكره على النحو التالي: «لذلك فالوصايا التي أعطاهم إيّاها للعبوديّة وعلى سبيل العلامات (= صور للواقع المستقبليّ)، فقد نسخها بالعهد الجديد، عهد الحرّيّة. أمّا الوصايا الطبيعيّة، التي تناسب الأناس الأحرار وهي من نصيب الجميع، فقد زادها معطيًا الناس بسخاء أن يعرفوا الله أبًا بواسطة النبيّ، وأن يحبّوه بكلّ قلوبهم، ويتبعوا «الكلمة»...».

«نستخلص من كلّ ما قيل أنّ الله ما كان ينتظر منهم الذبائح والمحرقات بل الإيمان والطاعة والبرّ من أجل خلاصهم» (١٧: ٤).

وفي ٤: ١٧، ١ ـ ٤ يستند إيريناوس خاصّة إلى شهادة الآباء ليبيّن السبب الذي دفع الله إلى أن يطلب ذبائح من شعبه وما كان معنى الذبائح وروحها، ويثبّت إيريناوس ذلك مستندًا إلى شهادة الربّ[1] ومظهرًا توافق الشهادتَيْن في تلك النقطة.

وماذا عن تقدمة العهد الجديد؟ يتحدّث إيريناوس عنها في ٤: ١٧، ٥ إلى ١٩: الربّ طلبها من تلاميذه يومَ أسّسها[2]. وتقوم بين الإفخارستيّا والذبائح التي فرضَتْها الشريعة العلاقة عينُها التي تقوم بين العهدَيْن القديم والجديد: الإعلان والاكتمال. ولهذا يقول إيريناوس إنّ التقدمة الزكيّة التي تقدّمها شعوب الأرض قاطبة هي التي سبق فأعلن عنها ملاخيا النبيّ[3]. إنّ الروح الذي ينبغي أن يواكب تقدمة الذبيحة هو عينه الذي واكبها في العهد القديم: «فالتقدمات لم تُلغَ «جنسًا» بل تغيّرت «نوعًا» فقط» (١٨: ٢). في ١٨: ٣ يعود إيريناوس إلى بدايات البشريّة ليبيّن أنّ «التقدمة الزكيّة» نابعة من موقف باطنيّ في الإنسان يعطيها نقاوتها ويقدّسها. وفي كلامه عن قاين وعن الفرّيسيّين المرائين وبيلاطوس يبرهن إيريناوس أنّ الله يرتضي بتقدمة البارّ النقيّ كتقدمة هابيل وذبيحة المسيح.

غير أنّ تلك التقدمة النقيّة ـ تقدمة المسيح ـ هي التي أشار بها إلى تلاميذه لكي يقدّموها إلى الله[4]، وهي «التقدمة النقيّة التي تقدّمها الكنيسة وحدها إلى الخالق». والسبب بسيط. والكنيسة في تعليمها متّفقة تمامًا مع حقيقة الإفخارستيّا؛ وعلى هذا النحو نصل إلى ما يقوله إيريناوس عن الإفخارستيّا (٤: ١٨، ٥) ضمن مقدّمة (١٨، ٤) ومقطع يوضّح مجدّدًا أنّ أعمالنا الصالحة،

(١) يستشهد إيريناوس بآية متّى ١٢: ٧.
(٢) يستشهد إيريناوس بنصّ متّى ٢٦: ٢٦، ٢٨.
(٣) ملاخي ١: ١٠ ـ ١١.
(٤) أطلب ٥: ١٧، ٥.

يجب أن تواكب التقدمة (١٨، ٦٠١)، مذكّرًا في ختام ذلك بأنّه وحده، وأنّ ذبيحة العهد الجديد تكمّل الصورة التي في القديم (١٩، ١).

ب ـ الإطار العامّ للنصّ الثاني (٥: ٢، ٣)

إنّ نصّ السفر الخامس الذي ننوي درسه الآن قائم في الجزء الأوّل، من الفصل الأوّل حتّى الرابع عشر، حيث ينشط إيرينايوس إلى دحض مزاعم الذين ينكرون قيامة الأجساد. إن قال الإنسان بوجود إله حقّ غير الإله الخالق يسمو عليه بشكل لامتناه، إذذاك يحقّ له منطقيًّا أن يقول إنْ لا قيمة لذلك الجسد الذي جبّله ذلك الخالق، ومن ثمّ عليه أن يزول إلى فساد. إنّ مَن يقول ذلك القول ينبذ تعليم الكنيسة في قيامة الأجساد. لذلك يردّ إيرينايوس «على هؤلاء الجاحدين جبيل خالقهم، المحتقرين جبلته، الرافضين خلاصهم الشخصيّ».

١ ـ إنّه الجزء الوحيد من مؤلّف إيرينايوس الذي يخصّ به مباشرةً موضوع قيامة الأجساد، فيبرهن عن ضرورتها استنادًا إلى شهادة مزدوجة: شهادة الأنبياء وشهادة بولس. ومنذ المقطع الأوّل يوضح رهان قيامة الأجساد التي هي امتداد ضروريّ للتجسُّد:

«إن كان الربّ قد افتدانا بدمه ووهب نفسه في سبيل نفسنا، وجسدّه في سبيل جسدنا، وأفاض روح الآب تحقيقًا للوحدة والشركة بين الله والناس، عاملاً على نزول الله في البشر بواسطة الروح، وعلى صعود الإنسان إلى الله بواسطة تجسُّده، وإن كان حقًّا بكلّ تأكيد، يومَ جاء إلينا، قد وهبنا عدم الفساد من خلال دخولنا معه في المشاركة، فقد قُضيَ حتمًا على تعاليم المراطقة كافّة» (٥: ١، ١).

في رأي إيرينايوس تنحصر العلاقة بين الله والإنسان في التجسُّد دون سواه. ولذا فلا يسعه إلاّ أن يلمس بطلان سائر التعاليم[٢] التي تنكر حقيقة

(١) يستند إيرينايوس هنا إلى خطبة يسوع حول نهاية العالم ويستشهد بآيات متى ٢٥: ٣٤ ـ ٣٦.
(٢) ٥: ١، ٢ إلى ٢، ١.

التجسُّد وهي تعاليم الظاهريّين (الذين يقولون بأنّ الكلمة لم يتجسّد إلاّ ظاهرًا) والفالنتينيّين (الذين هم ظاهريّون في موضوع التجسُّد)، والإبيونيّين (الذين لا يرون في يسوع سوى إنسان عاديّ)[1]، فضلاً عن تبّاع مرقيون الذين يعتبرون المسيح مختلِسًا[2].

يعبّر إيرينايوس عن فكرته في بضعة أسطر، فيقول ما مضمونه: إنَّ الإنسان الحيّ للأبد هو الذي يمكن أن ندعوه ثمرة الخلق المكتملة، ذلك الإنسان الذي هو على صورة الله ومثاله. وبفضل ذلك الاستجماع الذي حقّقه الكلمة بتجسُّده مستجمعًا في ذاته خليقة آدم، يُصبح الإنسان ذاك الكائن «الحيّ والكامل، القادر على أن يدرك الآب». ويضيف إيريناوس «إنَّ كلمة الآب وروح الله اتّحدا بطبيعة جبلة الخالق القديمة، أي آدم، فجعلا الإنسان حيًّا وكاملاً». ويرى من واجبه أن يتحدَّث عن الإفخارستيّا (٥:٢، ٢ - ٣) كما سوف نرى ذلك في ما بعد، إذ إنَّ كلمة الآب وروح الله يتّحدان مع الطبيعة القديمة في الإفخارستيّا. وهذا ثمرة التجسُّد.

٢ - في المقطع الثاني (٥:٣ إلى ٥) يستند إيريناوس إلى نصّ ٢ قور ١٢: ٧ - ٩ ويبيّن أنّ قدرة الله وجودته تظهران في قيامة الأجساد (٥:٣) حتّى إنَّ الذين يتكلّمون عن آبٍ صالح وينكرون في الوقت نفسه القيامة، يجعلون منه كائنًا ضعيفًا وعاجزًا ما دام جزء من الإنسان، أي جسده، يخرج عن سلطته (٥:٤). بيد أنَّ العهد القديم يعرض لنا عدّة نصوص تشهد بالصورة والرمز لقدرة الله وصلاحه (٥:٥)[3].

٣ - وفي المقطع الثالث (٥:٦ إلى ٨) يتوِّج إيريناوس شهادته المزدوجة

---

(١) يختصر إيريناوس تعاليمهم في ١: ٢٦، ٢. وفي نظره كان الإبيونيّون يعترفون بأنّ الإله الحقّ هو الإله الخالق أيضًا، ولكنّهم كانوا يقولون بأنّ يسوع لم يولد من عذراء وكان ابن يوسف. «وهم لا يستعملون إلاّ الإنجيل بحسب متّى، ويرفضون بولس الرسول متّهمينه بجحد الشريعة... ويمارسون الختان ويتمسّكون بالتقاليد الشرعيّة والممارسات اليهوديّة حتّى إنّهم يعبدون أورشليم على أنّها بيت الله». هل كانوا من المسيحيّين المتهوِّدين؟

(٢) إنّ التمسّك بالتجسّد، من جهة، والتأكيد، من جهة أخرى، أنّ إله يسوع المسيح ليس الإله الذي خلق الإنسان، يقضي بأن نجعل من المسيح مختلِسًا يمتلك بالغشّ ما هو للغير (٥: ٢، ١).

(٣) يذكر إيريناوس: أخنوخ وإيليّا ويونان والفتيان الثلاثة حننيا وعزريا وميشائيل.

[illegible] قيامة الأجساد

٤ ـ في المقطع الرابع والأخير (٥: ٩ إلى ١٤) فإنّ إيريناوس يكرّسه لشرح نصّ من رسالة بولس الأولى إلى أهل قورنتس (١٥: ٥٠)[٢] قد واستند إليه المراطقة وانطلقوا منه في حالة من الجنون ليبرهنوا على أن لا خلاص لجبلة الله». ويستعين إيريناوس أيضًا برسائل بولس التي يقوّيها بكلمتَيْن للسيِّد المسيح وردتا في إنجيل متّى (٢٦: ٤١ و٥: ٥) ويقول: ممّا لا شكّ فيه أنّ الجسد لا يتمتّع تلقائيًا بعدم الفساد، إنّما يصبح غير قابل للفساد لأنّه ملك للروح. وهذا التملُّك يتحقّق في الإفخارستيّا وبواسطتها.

٤ ـ «ضدّ الهرطقات» ٤: ١٨، ٥

أ ـ الإطار المباشر (٤: ١٨، ٤)

كما أنّ نصّ السفر الخامس ٢، ٣ يكوّن اللبّ في جواب إيريناوس على الذين ينكرون قيامة الأجساد، كذلك فإنّ نصّ السفر الرابع يكوِّن، من خلال علاقته بواقع التجسُّد وموقعه في حياة الكنيسة وإيمانها، ردًّا على قضيَّة الهراطقة المركزيَّة من حيث احتقارهم للخالق وخليقته.

ويستفيض في التعبير عن موضوع الخالق والخلق المقطعُ السابق للذي ناقشه، أي ٤: ١٨، ٤. فتتردّدُ لفظة «خالق»[٣] أربع مرّات في ذلك المقطع:

١ـ علينا أن نقرّ بجميل الخالق علينا

٢ـ ترفع الكنيسة وحدها تقدمة نقيّة إلى الخالق

٣ـ يقول المراطقة بوجود آب غير الخالق

٤ـ الربّ هو ابن خالق الكون

---

(١) يستشهد إيريناوس بـ ١ تس ٥: ٢٥، و١ قور ٣: ١٦؛ ٦: ١٥، ٦: ١٣ ـ ١٤، وروم ٨: ١١، و ١ قور ١٥: ٤٢ ـ ٤٤ و٣٦؛ و ١ قور ١٣: ٩، ١٢ وأف ١: ١٣ ـ ١٤.

(٢) يقول بولس: «أيّها الإخوة، إنّ اللحم والدم لا يسعهما أن يرثا ملكوت الله ولا يسع الفساد أن يرث ما ليس بفساد».

(٣) يستعمل النصّ اللاتينيّ كلمة Fabricator وتعني الذي يصنع شيئًا أو يفعله.

أمام الخالق نجد الخليقة. بيد أنّ إيريناوس لا يستعمل لفظة «الخليقة» المجرّدة، بل يستعمل لفظة أكثر موضوعيّة هي لفظة «مخلوقات»، علمًا بأنّ للمخلوقات ميزتين:

١ـ المخلوقات هي مخلوقاته (أي مخلوقات الخالق).

٢ـ وهي بحسب كيانها المخلوق[١]، أي إنّها مثلنا شبيهة بنا في الجوهر.

وعليه، في هذا الكون المخلوق، لا يسعنا أن نرفع إلى الآب سوى بواكير مخلوقات الخالق الخاصّة.

لكنّ الهراطقة يقدّمون هم أيضًا الإفخارستيّا[٢] ولهذا السبب سيتقدّم إيريناوس بتحديد لشروط تقدمة الشكر الصحيحة، الإفخارستيّا الحقيقيّة. وكأنّي به يقول: على مَن يرفع التقدمة أن يعتقد بالحقائق التالية وإلاّ ألحقَ بالله الإهانة واتّهمه بالجشع والطمع بخيور الآخرين. فمن الضروريّ الإيمان:

١ـ بأنّ الآب الذي تُرفع إليه التقادم هو ذاته خالق القرابين التي نرفعها إليه.

٢ـ بأنّ ابن الآب هو أيضًا ابن الخالق لكونه يجعل نفسه صاحب الخَلْق بقوله إنّ «الخبز الذي أصبح إفخارستيّا» هو جسده والكأسَ هي دمُه[٣].

٣ـ ومن ثمّ بأنّ جسد الإنسان، المأخوذ من الخليقة، يرتقي إلى عدم الفساد لأنّ تلك الخليقة قد اتّخذها ابن مُبدعها[٤].

---

(١) وردت مرّتين في ٤: ١٨، ٤ العبارة اللاتينيّة Ea quae sunt secundum nos وهي خيرعبارة يبيّن فيها إيريناوس انتباهنا الكامل والطبيعيّ إلى الخليقة، وبالتالي عظمة هبة عدم الفساد.

(٢) أطلب في ١: ١٣، ٢ وصف إيريناوس للإفخارستيّا التي يقوم بها سرقس الساحر. وعن الإفخارستيّا لدى الغالتينيّين أنظر مقالة: Elaine H. PAGELS, *A Valentinian Interpretation of the Baptism and Eucharist - and its Critique of «Orthodox» sacramental Theology and Practice*, «Harvard Theological Review» 65 (1972), p. 153-169

(٣) «علاوةً على ذلك، كيف يمكنهم أن يعتبروا في أنّ الخبز الذي أصبح إفخارستيّا هو جسد ربّهم، والكأس هي دمه، إن لم يقولوا بأنّه ابن خالق الكون، أي كلمته الذي به يحمل العود ثمرًا والينابيع تجري والأرض تعطي أوّلاً عشبًا، ثمّ سنبلاً، ثمّ حبًّا مكتنزًا في السنبلة» (مرقس ٤: ٢٧ ـ ٢٨)؟ ٤ ـ ٤: ١٨، ٤.

(٤) «وكيف يمكنهم بعد ذلك أن يقولوا إنّ الجسد صار إلى الفساد ولا نصيب له في الحياة، في حين أنّه يقتات من جسد الربّ ودمه؟» (٤: ١٨، ٤).

ب - بنية النصّ ٤ ،١٨، ٥[1]

إنّ تلك الحقائق الثلاث هي من صُلب إيمان الكنيسة. إنّ الإفخارستيّا، في نظر المسيحيّ، تعبّر عن إيمانه والإفخارستيّا موجز لذلك الإيمان أو بالأحرى رمز له[2]. وعليه يستطيع إيريناوس أن يعلن مقولته:

«في ما يخصّنا تتّفق طريقة تفكيرنا مع الإفخارستيّا، والإفخارستيّا تثبت، في دورها، طريقتنا في التفكير» (٤ :١٨، ٥).

لماذا؟ لأنّ العبادة في الكنيسة تعبير منظور عن إيمانها. وهذا التوافق التامّ بين الإيمان والممارسة، بين «شريعة الصلاة» وشريعة الإيمان» يعبّر عنه إيريناوس بقوله:

«لأنّنا نقدّم له ما هو له ونعلن بانسجام شركة الروح والجسد واتّحادهما. فكما أنّ الخبز الآتي من الأرض، إذا ما قَبِل الدعوة لله لا يعود خبزًا عاديًّا بل إفخارستيّا مكوّنة من شيئين، أحدهما أرضيّ والآخر سماويّ، كذلك فإنّ أجسادنا، بمشاركتها في الإفخارستيّا، لا تعود قابلة للفساد لأنّها قبلت رجاء القيامة» (٤ :١٨، ٥).

يُقسم هذا النصّ إلى ثلاثة أقسام:

١- الإيمان وممارسة الكنيسة: «لأنّنا نقدّم له ما هو له. ونعلن بشكل منسجم شركة الروح والجسد واتّحادهما».

٢- يتبع ذلك الموازاة التي يرسمها إيريناوس بين التحوُّلين: تحوُّل الخبز الذي من الأرض وتحوُّل أجسادنا:

○ «كما أنّ الخبز الآتي من الأرض، إذا ما قبِلَ الدعوة لله لا يعود خبزًا عاديًّا بل إفخارستيّا...»

○○ «كذلك فإنّ أجسادنا، بمشاركتها في الإفخارستيّا، لا تعود قابلة للفساد لأنّها قبلت رجاء القيامة».

---

(١) راجع: Ysabel DE ANDIA, *Eucharistie et incorruptibilité*, dans: *Revue Thomiste*, 85 (1985), pp 462-479
تقدّم المؤلّفة في مطلع مقالها (ص ٤٦٤) ثبتًا جيّدًا بالمصادر حول هذا الموضوع.

(٢) ينبغي فهم كلمة «رمز» هنا (symbole) بمعنى «قانون الإيمان» (symbole de la foi).

٣ـ إنّ تلك الموازاة يعترضها الشرح الذي يعطيه إيرينايوس عن طبيعة الإفخارستيّا «المكوّنة من شيئين، أحدهما أرضيّ والآخر سماويّ».

لدينا إذًا أربع وحدات يمكن أن نقسمها إلى زوجين، أوّلها مكوّن من القسم الأوّل والقسم الثالث في النصّ حيث يتكلّم إيريناوس من جهة على الجسد والروح، ومن جهة أخرى على عنصرَيْن أحدهما أرضيّ والثاني سماويّ. هاتان الوحدتان في الزوج الأوّل نشير إليهما بالحرفين A وA´. أمّا الزوج الثاني فهو مكوّن من القسم الثاني في النصّ حيث رأينا الموازاة بين الخبز (٢☆) وأجسادنا (٢☆☆)، ونشير إلى هاتين الوحدتَيْن بحرفَيْ B و B´.

ولإبراز بنية النصّ على خير وجه وإدراك أبعاده، نقدّمه على الوجه التالي: «في ما يخصّنا تتّفق طريقة تفكيرنا مع الإفخارستيّا، والإفخارستيّا تثبّت، في دورها، طريقتنا في التفكير».

«ولأنّنا نقدّم له ما هو له ونعلن بانسجام

A
شركة الروح والجسد واتّحادهما:

B
١ ـ فكما أنّ
٢ ـ الخبز الآتي من الأرض،
٣ ـ إذا ما قبِلَ الدعوة لله،
٤ ـ لا يعود خبزًا عاديًا
٥ ـ بل إفخارستيّا

B´
كذلك فإنّ
أجسادنا،
بمشاركتها في الإفخارستيّا،
لا تعود قابلةً للفساد
لأنّها قبلت رجاء القيامة.

A´
مكوّنة من شيئين
أحدهما أرضيّ والآخر سماويّ».

ج ـ برهان التناسق

وقبل المباشرة بدرس هذا النصّ، ينبغي أن نتوقّف عند مسألة تساعدنا

[illegible] (١). يختتم هذا الفصل القسم الأوّل من السفر الرابع، وهو القسم الذي يخصّصه إيريناوس لبيّن، انطلاقًا من «الكلام الواضح» الذي قاله الربّ، أنّه ليس هناك إلاّ إله واحد، خالق الكون، إله العهد القديم والعهد الجديد على السواء. ومن ثمّ يفرض المنطق أن تكون تلك الوحدة في سائر ما ينتج عن ذلك: وحدة المسيح المخلِّص، وحدة الإنسان المخلوق والمخلَّص، وحدة العبادة التي تؤدّى لله وتناسُقها.

إلاّ أنّ أسقفنا لا ينكر الأمور الراهنة والبديهيّات. فهو يعرف خير معرفة أنّ ثمّة عهدَيْن، وأنّ الإنسان مكوّن من جسد ونفس، وأنّ هذا الإنسان نفسه، الذي يسير لا محالة نحو الموت، مدعوّ لا محالة أيضًا إلى عدم الفساد وإلى الحياة الأبديّة. والسؤال المطروح إذًا على كلّ مسيحيّ يريد عرض إيمانه عرضًا شافيًا هو الآتي: كيف يمكن الإقرار في الوقت نفسه بهذه الوحدة الأساسيّة وبتلك الازدواجيّة الحقيقيّة، التي يمكن الجميع أن يلاحظوها، دون إنكار هذه أو تلك؟

والجواب يقدّمه إيريناوس في الجملة التي بها يفتتح نصّنا، فيقول إنّ طريقة تفكير الكنيسة، وبالتالي طريقة تفكيره، تتّفق مع الإفخارستيّا، أي مع ما يكوّن جوهرها. فلئن أعلنت الكنيسة «بانسجام شركة الروح والجسد واتّحادهما»، فإنّما هذه هي الإفخارستيّا.

ولنتابع قُدُمًا. فما الذي حدا إيريناوس على القول بالاتّفاق (consonans est) بين طريقة تفكير الكنيسة والإفخارستيّا، ثمّ على القول بأنّ هذا الإعلان لوحدة الجسد والروح هو إعلان يتمّ «بانسجام» (congruenter)؟ الجواب أنّ ذلك كلّه هو من صميم قصد الله الخلاصيّ، قصد يبدأ مع الخلق وينتهي في قيامة الإنسان. بيد أنّ القصد لا يكون قصدًا بالمعنى التامّ ما لم يكن متناسقًا يَعكِس تناسق صاحبه. فأحد العناصر الهامّة في البراهين التي يسوقها إيريناوس لدحض تعاليم الغنوصيّين والهراطقة هو ما يمكن تسميته برهان التناسق، تناسق يمكنه تفسير مجموع الواقع في بُعده الأشمل، بما في ذلك من عناصر قد يبدو أنّها متناقضة كمثل «الجسد» و«الروح».

(١) أطلب الصفحة ١٢٣.

هذا التناسق يعبّر عنه النصّ اللاتينيّ لكتاب ضدّ الهرطقات بفعل Congruo ومشتقّاته: congruens, congruus, congruenter[1] وهي ألفاظ تعني «ما يليق، ما هو ملائم، ما هو مطابق» وبالتالي ما هو «في تناسق» ولا يشين، ويموجز الكلام كلّ ما يجعل من مجموع معيّن أمرًا «متماسكًا» متناسقًا.

ولا يحُوك إيريناييوس برهانه بخيط واحد، بل يستعمل عدّة خيوط واحدة اللون مختلفة في درجات التلوين. من ذلك أنّه يعبّر عن فكرة التناسق الأساسيّة بكلمات أُخرى مثل فعل Consono ومشتقّاته: consonans, consonanter, consonatio[2]. فمفهوم التناسق يشمل أيضًا فكرة التناغم والاتّفاق.

ونتابع المجاز فنضيف أنّ إيريناييوس، وهو الحائك الماهر، لا يكتفي بسدى القماش بل يشفعه باللُحمة، فيستعمل المفهوم المضادّ أي مفهوم «عدم التناسق» ويعبّر عنه بالكلمات التالية: in-congruens, in-congruentia, in-congruus[3]. وعدم التناسق في تعاليم الهراطقة وتفاسيرهم هو الخلفيّة

---

(١) أطلب في congruo ٤: ١٩، ١. وفي congruens ٢: ٧، ٣؛ و٤: ٩، ١، و١٤، ٢، و٣٦، ٦، و٣٩، ٤. وفي congruenter ٤: ١٨، ٥و٥: ٢٩، ٢. وفي congruentia ٥: ٣٣، ٣. وفي congruus ٣: ١٦، ٧، و٤: ٢٧، ١. وفي congruus sum ٥: ٣٣، ٤. ونجد ما يعادل كلمة congruus في كتاب آخر لإيريناييوس وصلنا في نسخته الأرمنيّة وعنوانه *Démonstration de la prédication apostolique* (سنختصره بكلمة *Démonstration*). فقد ورد في الفصل ٢٤: «ومع مرور الأزمان، أي في الجيل العاشر بعد الطوفان، نجد إبراهيمُ وهو يبحث عن الإله الذي يلائمه congruus والذي هو له بموجب بركة جدّه (سام)». راجع «المصادر المسيحيّة» ٦٢، ص ٦٧.

(٢) راجع، في شأن consono ٢: ٢٠، ٤، و٢٨، ٣ (συμφωνέω) و٥٣، ٤؛ و٣: ١٢، ٩، و٢١، ٣. وفي consonans راجع ٢: ١٠، ١، و٢٥، ٢؛ و٣: ١١، ٨، ١٢، ١١، و١٣، ٣؛ و٤: ١٨، ٥، و٣٨، ٣، و٤١، ٤؛ و٥: ٣٥، ١. وفي consonanter راجع ١: ١٠، ٢ (συμφώνως)؛ و٥: ٣٦، ٣. وفي consonantia أطلب ٢: ٢، ٤، و١٥، ٤؛ و٣: ١٢، ١٢؛ و٤: ١٤، ٢. وفي consonatio أطلب ١: ١٤، ١؛ و٢: ١٥، ٢. ويمكن أن نضيف إلى ذلك ما هو خاصّ بكتاب *Démonstration*: راجع في كلمة consonans الفصل ١٦ («المصادر المسيحيّة»، ص ١٢٧)، وفي consonantia الفصل ٢٧ («المصادر» ص ٢٧) والفصل ٦١ («المصادر» ص ١٢٦). ونجد كلمة consonans في الرسالة التي وجّهها إيريناييوس إلى فلُورينوس الهرطوقي وذكرها أوسابيوس في تاريخ الكنيسة ٥: ٢٠، ٤ = ἀσύμφωνά ἐστι (Non sunt consona و٥: ٢٠، ٦ = πάντα σύμφωνα ((cuncta consona).

(٣) في incongruens راجع ٣: ٧، ٢ و٧؛ في incongruentia راجع ٤: ٣٣، ١؛ في incongruus راجع ٢: ١٨، ٧.

[illegible] تناسق تعبير [illegible] وتصميم [illegible] تناسق
حقيقته لأنّ الحقيقة لا يمكنها إلّا أن تكون متناسقة.

والآن نرى بسرعة كيف يعالج إيرينايوس برهان التناسق هذا[1].

د ـ مستويات التناسق

١ ـ يفيدنا إيرينايوس أنَّ للتناسق عدّة مستويات أو أصعدة. فهناك أوّلاً تناسق على صعيد الله الآب وكلمته، وهذا التناسق من ميّزات سائر العلاقات بين الخالق وخليقته، بين ما هو إلهيّ وما هو إنسانيّ. ويبدو أنَّ نصّ ٣ : ١٦ ، ٧ هو خير ما يختصر هذا المستوى من التناسق، إذ قال إيرينايوس، لدى كلامه على شهادة يوحنّا الإنجيليّ، وبوجه التحديد على معجزة قانا الجليل، ما يلي:

«لأنّه ليس عنده ما هو غير مرتَّب ولا ما يأتي في غير حينه، كما أنّه ليس عند الآب ما هو غير متناسق (incongruens)، فكلّ شيء يعرفه الآب مسبقًا ويتمّمه الابن على النحو المطلوب (sicut congruum et consequens est)[2] وفي الوقت المناسب» (٣ : ١٦ ، ٧).

وكما أنّه ليس في عمل الآب ما هو غير متناسق، فابن الآب الوحيد يحقّق تصميم هذا الآب على نحو متناسق مناسب. ذلك بأنَّ تصميم الخلاص هذا هو في غاية التناسق لأنّ الله مُبدئه يعرف ما سيكون مآل هذا التصميم، وهو أن يَغْمُر الإنسانَ خليقته بفيض نعمه[3] وبنعمته بالذات، أي عدم الفساد. فالله إذًا نظرة شاملة إلى التاريخ بكامله. ولذلك نلمس هنا حجر الزاوية الذي يبني عليه إيرينايوس برهانه: «ليس من عدم تناسق عند الآب». وفي اختصاره للتاريخ المقدّس يقول:

«وهكذا، وبطرق متعدّدة، كان (الله) يعدّ الجنس البشريّ لتحقيق

---

(١) نكتفي هنا بعرض سريع للموضوع على أن نعود إليه إن شاء الله في مقال آخر.
(٢) العبارة الحرفيّة هي: «كما هو لائق». راجع ضدّ الهرطقات ٣، المجلّد ١ (المصادر المسيحيّة ٢١٠)، ص ٣٢٣، الحاشية P 315, n. 2
(٣) راجع مطلع ٤ : ١٤، ٢.

تناغم ـ سِمفُونيّة ـ الخلاص» (ad consonantiam salutis)[1] (٤ : ١٤، ٢).

فلئن بدا للبعض أنَّ تصميم الله فيه بعض عدم التناسق، فمردّ ذلك إلى قراءتهم لهذا التصميم. وينهي إيرينايوس تفسير الكنيسة بالكلام الآتي: [2]

«فإذا ما ابتعد أحد عن مبدع الأشياء جميعها وأقرّ بأنَّ عالمنا صُنع على يد آخر أو بواسطة آخر، فلا مناص من وقوع هذا الإنسان في جمّ من السخافات والتناقضات (multam incongruentiam) لن يستطيع أن يتبرّأ منها لا من جهة احتمال صدقها (secundum verisimile) ولا من جهة حقيقتها (secundum veritatem) (٤ : ٣٢، ١).

٢ ـ ننتقل الآن إلى مستوى التناسق الثاني. إنّه مستوى التناسق الداخليّ في الكتب المقدّسة ويتجلّى في توافق شهادات مؤلّفي هذه الكتب، ممّا يتيح لإيرينايوس إقامة البرهان على ما يسوقه إذ يلجأ إلى الكتب المقدّسة بواسطة الشهادة المثلّثة[3] . ويقول إيرينايوس في معرض ردّه المسهب على ادّعاءات الغالنّسيّين[4] :

«فإذا ما عرفنا، على النحو الذي ذكرناه، كيف نسلّم الله بعض القضايا[5] ، حافظنا على إيماننا وكنّا في مأمن من الهلاك، وبدت لنا الأسفار المقدّسة جميعها، وقد أعطانا الله إيّاها، متناسقة (consonans)؛ وكذلك تناسقت الأمثال (consonabunt) والمقاطع الجليّة، وفسّرت المقاطع الجليّة الأمثالَ، ومن خلال كثرة الأصوات الصادرة عن النصوص دوّى فينا لحن واحد متناغم(unam consonantem) يُنشد لله صانع جميع الأشياء» (٢ : ٢٨، ٣).

والقسم الأوّل من السفر الثالث، حيث يستند إيرينايوس إلى شهادات

---

(١) يجب فهم كلمة consonantia بمعناها الحرفيّ الموسيقيّ، أي بمعنى «صوّت مع»، وبالتالي «كان في تناغم مع، في اتّفاق مع». أطلب: P. Rousseau, en *S.C.* 100/1 p. 234, note «P. 545 n.1».

(٢) أنظر ٤ : ٢٦ إلى ٣٢: قراءة كنسيّة للكتب المقدّسة (راجع الحاشية ٣ في الصفحة ١٢٤)

(٣) راجع مقالة الأب بيَنبُويه المذكورة في الحاشية ٥ من الصفحة ١٢٢

(٤) جاء ذلك في الفصول ٢٥ إلى ٢٨ من السفر الثاني.

(٥) لأنه، على حدّ قول إيرينايوس، «ليس من عدم تناسق عند الأب» (٣: ١٦، ٧).

ـ ـر كتب مثله يعرض أنّ ثمّه إله واحد خالق الكلّ. يتيح لاستغنا الفرصة ليُظهر تتوافق بين جميع تلك الشهادات[1]. وهذا التوافق، وبالتالي تناسق الكلّ، هو ما سيبرِّر استعماله «للبرهان بالكتاب المقدّس».

٣ ـ أمّا مستوى التناسق الثالث فهو مستوى الكنيسة. إنّها متناسقة واحدة سواء على صعيد إيمانها أو على صعيد تعليمها ونقل هذا التعليم[2]. وهذا التناسق ينبغي على الكنيسة أن تسعى إليه وتحافظ عليه في كلّ شيء أمانةً منها «لموهبة الله»، أي الروح، الذي وُكل إليها ليتمكّن أعضاؤها أن يجدوا به الحياة. «ولأنّه حيث تكون الكنيسة هناك يكون روح الله أيضًا... والروح هو حقيقة[3]». والحقيقة متناسقة إذ «ليس من عدم تناسق عند الآب». وهكذا نعود إلى التناسق الأساسيّ، تناسق الله عينه. وفي هذا السياق تبرز كلّ أبعاد الجملة الفاتحة التي يجعلها إيريناوس في مطلع كلامه على الإفخارستيّا (٤: ١٨، ٥) والتي بها يعبِّر عن «التناغم» بين تفكير الكنيسة[4] وعمق حقيقة الإفخارستيّا، علمًا أنّ هذه الحقيقة تثبِّت، في دورها، صواب تفكير الكنيسة.

ختامًا لعرضنا السريع هذا لبرهان التناسق، نضيف أنّ إيريناوس نفسه يدرك، بصفة كونه عضوًا في هذه الكنيسة، أنّ «دحضه ونقضه» لتعاليم الهراطقة منبثقان من ذلك التناسق ومندرجان فيه على قدر ما «تتناغم كلماته» مع

---

(١) الإنجيليون متّفقون «مع هؤلاء الأحباء الأربعة الذين يجلس عليهم المسيح يسوع» (٣: ١١، ٨). إنّه تشبيه في غاية البلاغة للإيحاء بالتوافق التامّ لأنّ الكرسيّ حيث يتمّ الجلوس لا يمكن أن يُجلس عليه إن كان أعرج. وكذلك كرازة بولس وشهادة لوقا متوافقتان (consonantes) (٣: ١٣، ٣)؛ وتعليم بولس بأسره، سواء ما ورد منه في أعمال الرسل أو في الرسائل، هو متوافق متناسق (٣: ١٢، ٩)؛ والرسل وأصحاب الترجمة السبعينيّة متّفقون بعضهم مع بعض (٣: ٢١، ٣)؛ والأنبياء متّفقون مع يوحنّا في شأن القيامة (٥: ٣٦، ٣).

(٢) أطلب ١: ١٠، ٢، حيث يقارن إيريناوس بين وحدة الكنيسة المنتشرة في الأرض كلّها، وتعدّد مذاهب الهراطقة وكتاباتهم وتعاليمهم. فالكنيسة تنقل إيمان الرسل وبشارتهم «بصوت الإجماع» (consonanter) كما لو أنّ لها فم واحد».

(٣) ٣: ٢٤، ١.

(٤) أطلب في هذا الموضوع: Ysabel de ANDIA, art.cit., spécialement p. 466 وأظنّ أنّ عبارة «طريقة تفكيرنا» تشير إلى تفكير الكنيسة لا إلى تفكير «مَن يقدّم الإفخارستيّا»، إذ إنّ الضمير «نا» هو «جمع كنسيّ» يعني الكنيسة التي ينتمي إليها إيريناوس. وهذا هو التفسير الوحيد لاستعمال إيريناوس هنا الضمير في صيغة الجمع.

الأسفار المقدّسة[1]. فالأسفار المقدّسة عينها هي «مجموعة أصوات من النصوص» من شأن تناغمها أن يجعل هذه الأسفار «تردّد أصداؤها فيه كما يتردّد اللحن الواحد المتناغم» (unam consonantem)[2]. والسعي إلى التناسق هو جزء لا يتجزّأ من «منهجيّة»[3] إيرينايوس نفسه، وهو في ذلك أمين لتقليد الكنيسة. وهل تكون التعاليم صحيحة حقيقيّة إن لم تبيّن سائر أوجه تاريخ الخلاص، على تعدّدها واختلافها، «فتجعلها في مجموع العمل» وتُظهر هذا التاريخ كلاً متناسبًا «متناغمًا»[4]؟ وهل ينبغي لمن يهتمّ بالحقيقة أن يعلّم غير تلك التعاليم؟

ويمكننا الآن العودة إلى النصّ ٤ : ١٨، ٥. ونفهم بنيته في ضوء التناسق والتناغم اللذين يلمسهما إيرينايوس لدى تأمّله تاريخَ الخلاص منذ بداياته حتّى نهايته واكتماله عند المجيء الثاني[5]. ذلك بأنّ الرؤية الشاملة لتصميم الله الخلاصيّ، تلك الرؤية التي لا وجود لها إلاّ في الكنيسة[6]، هي التي تتيح لأسقف ليون التأكيد أنّ الإفخارستيّا ـ تقدمة الكنيسة ـ تعلن «شركة الروح والجسد واتّحادهما». وتلك الشركة (أي تلك الوحدة) ـ وهي غاية تصميم الله

(١) راجع ٢ : ٣٥، ٤، وهو آخر مقاطع السفر الثاني. يقول إيريناوس إنّ نقض تعاليم المراطقة ليس إلاّ استعادة لتعليم الأسفار المقدّسة، على الرغم من أنه لم يعالج هذا الموضوع صراحةً قبل ذلك. وفي هذا المقطع نفسه يعلن عن استناده المباشر إلى شهادة الكتاب المقدّس، أي عن البرهان بالكتاب المقدّس، وهو موضوع الأسفار ٣ إلى ٥.

(٢) راجع ٢ : ٢٨، ٣.

(٣) راجع ٢ : ١٠، ١، حيث ينتقد إيريناوس المراطقة الذين يريدون تبديد «ظلام بظلام آخر» وحلّ «لغز بلغز آخر». «وهذه الأمور تُحلّ انطلاقًا ممّا هو واضح، متناغم (consonans) وبديهيّ».

(٤) راجع ٢ : ٢٥، ٢. ثمّة يلجأ إيريناوس إلى تشبيه القيثارة والتناغم الموسيقيّ حيث يتّضح أنّ الأصوات، «بفضل الفواصل التي تفرّق بينها، تُنتج لحنًا واحدًا متناغمًا على الرغم من كونه قائمًا على أصوات متعدّدة متناقضة».

(٥) راجع في هذا الشأن الفصل ٦١ من كتاب *Démonstration de la prédication apostolique*, S.C. 62, p. 126-127. ثمّة عرض لنهاية الأزمان كما وصفها «النبوخ»، حيث يسود «التناغم والوئام والسلام» بين مختلف أنواع الحيوانات التي هي بطبيعتها متعادية. وكذلك سوف يسود «سلام متناغم» بين جميع الناس مهما اختلفوا، لأنّ هذا السلام قد حلّ الآن بين الذين «علّمهم للمسيح فآمنوا به».

(٦) راجع ٣ : ٢٤، ١، حيث يصف إيريناوس بشارة الكنيسة التي تنعم بشهادة الكتاب المقدّس، وهذه الشهادة «تشمل البدء والوسط والنهاية، وبوجز القول تدبيرَ الله بكلّيّته».

[illegible]
الإنسان [illegible] عدم [illegible][1]

هـ ـ الوحدتان A وA'

فلنحاول الآن اكتشاف العلاقة القائمة بين هاتين الوحدتَيْن، وكلمة السرّ لدينا رؤية الكنيسة للتصميم الإلهيّ، تلك الرؤية الشاملة، المتناسقة، المنسجمة التي قبلتها بفضل كرازة الرسل.

١ ـ في الوحدة A يقول لنا إيريناوس ما تفعله الكنيسة عندما تقدّم قربان العهد الجديد. فهي تعلن «بانسجام» ـ أي آخذة بعين الاعتبار مجمل تصميم الخلاص الإلهيّ ـ ما يسعى هذا التصميم إلى تحقيقه، وهو «شركة الروح والجسد واتّحادهما». ويمكن أن نقرأ في هذه الوحدة وبشيء من الاختصار، ثلاث أفكار عزيزة على أسقفنا: التآلف[2]، والاستجماع، وتحقيق تصميم الخلاص هذا مع مرور أزمان البشر.

٢ ـ في الوحدة الموازية A'، «(إفخارستيّا) مكوَّنة من شيئين، أحدهما أرضيّ والآخر سماويّ»، يقودنا إيريناوس إلى إدراك أمر أساسيّ، وهو أنّ ما تعلنه الكنيسة متّفقة مع الحقيقة، تحقّقه الإفخارستيّا تحقيقًا تامًّا. لذلك استطاع إيريناوس القول، قبل بضعة أسطر، إنّ «الإفخارستيّا تثبّت، في دورها، طريقتنا في التفكير».

أمّا العنصران، الأرضيّ والسماويّ، اللذان يكوّنان الإفخارستيّا، فنحسن فهمهما إن عمدنا إلى فكرة إيريناوس في الاستجماع. لأنّه كما أنّ المسيح استجمع في نفسه كلّ تاريخ الخلاص، فمن باب القياس «تستجمع» الإفخارستيّا، هنا والآن، تصميم الله الخلاصيّ الذي يقضي للإنسان، خليقة الله، بالخلاص وبلوغ عدم الفساد. وهذا المصير حقّقه آدم الجديد[3] بحياته

(١) راجع على سبيل المثال ٤: ١٥، ٢؛ و٥: ٢٩، ١.
(٢) راجع في هذا الموضوع المقال القيّم التالي: P. EVIEUX, *Théologie de l'accoutumance chez saint Irénée*, dans *Recherches de Science Religieuse*, 55 (1967). p. 5-54
(٣) أنظر مجمل المقطع الذي يخصّصه إيريناوس للاستجماع (في ٣: ٢١، ١٠ إلى ٢٣، ٨).

وموته وقيامته «مؤمّنًا لنا بذلك، وبسبيل مختصر، الخلاص» (in compendio nobis salutem praestans)[1]. وهذا «السبيل المختصر» لتحقيق الخلاص، تجعله الإفخارستيّا حاضرًا بين يدي الإنسان وتعرضه لمشاركته. ومن الواضح إذ ذاك أنّه إذا كان «العنصر الأرضيّ» هو خبز التقدمة وخمرها، «فالعنصر السماويّ» هو حقيقة جسد الربّ الممجّد (الخلاص بسبيل مختصر)، ولكنّه أيضًا الروح الذي، بمشاركة المؤمن في جسد الربّ ودمه، «يألف معه (أي مع ابن الله الذي صار ابن البشر) السكنى في الجنس البشريّ، والاستراحة بين البشر، والمكوث في جبلة الله، فيعمل فيهم مشيئة الآب ويجدّد حالتهم العتيقة بجدّة المسيح»[2] آدم الجديد، فيهبهم عدم الفساد.

و ـ الوحدتان B وB'

ما تتميّز به هاتان الوحدتان هو أنّ إيرينايوس، «يبيّن» لنا اتّحاد العنصر الأرضيّ والعنصر السماويّ في عمليّة تكوينه: «الشركة والاتّحاد» في الصيرورة. ما يأتي في الأوّليّة هو التمييز وانعدام المعادلة بين العنصرين المعدّين ليصبحا واحدًا في تصميم الله، في حين نجد في الوحدتيْن السابقتيْن نتيجة تلك الصيرورة. أمّا البنية الداخليّة في هاتيْن الوحدتيْن، فيلاحظ فيها الموازاة التامّة بين B وB'، إذ إنّ كلّ عنصر في الوحدة الأولى يقوم في الوحدة الثانية، والتعادل شبه التامّ بين الاثنتين يبرز على خير وجه ما في كليهما من الفوارق.

١ ـ إن تركنا جانبًا العنصر الأوّل في كلّ من الوحدتيْن («كما أنّ»/«كذلك») وهو دليل التوازي، بقي لنا عنصران متعادلان تمام التعادل، وهما العنصران ٢ و٤. فالعنصر الثاني في B، أي «الخبز الآتي من الأرض»، يقابل تمامَ المقابلة العنصر الثاني في B': «أجسادنا». وفي منظور إيرينايوس هذه المعادلة التامّة مهمّة جدًّا. فأجسادنا والخبز الذي تقدّمه الكنيسة منبثقة من الخليقة، وهي، بمعزل عن أيّ كيان روحيّ آخر، المدعوّة لاقتبال الروح ولتصبح «روحانيّة». ذلك بأنّ الخبز يأتي فعلاً من الأرض، وهو «مأخوذ من

(١) ٣: ١٨، ١.

(٢) ٣: ١٧، ١. أطلب تعليق P. EVIEUX, *op. cit.* p. 27-29

[illegible]

يسك [illegible] يردّد، على نحو ما ورد في الكتاب المقدّس «أنّ الله خلق الإنسان متّحدًا إيّاه من الطين» (٤ : ١٤، ٢)[1]، وهل من شيء أرضيّ مثل الطين؟ وهذا التضامن الذي يبرزه إيريناوس هنا بين أجسادنا وحبّة القمح يؤكّد، في وجه تعاليم الهراطقة، اتّضاع كلّ إنسان في جذوره[2]، وعلى العكس عظمة مصيره، عظمةً تفوقه بلا حدود.

٢ ـ ننتقل الآن إلى العنصر الرابع: «لا يعود خبزًا عاديًّا» (B) و«لا تعود قابلة للفساد» (B'). هاتان الجملتان هما القسم السلبيّ في التبدّل، أي التعبير عمّا لم يعد من كيان العنصر الأرضيّ. ذلك بأنّ الخبز لم يعد خبزًا عاديًّا، وأجسادنا التي هي «عادة»، أي بطبيعتها، قابلة للفساد، لم تعد كذلك. هناك عتبة تمّ عبورها مرّة نهائيّة[3]، وعدم فساد أجسادنا أمر مكتسب للأبد، كما أنّ الخبز الذي «صار إفخارستيّا» لا يمكنه ألبتّة أن يعود خبزًا عاديًّا.

٣ ـ بالعنصر الثالث ندخل في العمليّة نفسها. وهنا ليست المطابقة تامّة، فالخبز «قبل الدعوة لله» (B)، في حين أجسادنا «تشارك في الإفخارستيّا» (B'). لمَ ذلك؟ الجواب هو أنّ إيريناوس كان يشعر بأنّ الإنسان يعيش في الزمن وبالتالي هو بحاجة إلى أن ينمو قبل الوصول إلى الكمال. لذلك كتب وهو يلمّح تلميحًا واضحًا إلى الإفخارستيّا:

«إنّ مَن هو خبز الله، الخبز الكامل، قد أعطانا ذاته تحت شكل الحليب

---

(١) اطلب أيضًا ٣: ٢٢، ١ ـ ٢ حيث يعالج إيريناوس موضوع ولادة يسوع الإنسانيّة الحقيقيّة. ويُتيح له شفاء الأعمى منذ ولادته (يوحنّا ٩: يضع المسيح طينًا على عيني الأعمى) إعادة تأكيد هذه الحقيقة في وجه الفالنتينيّين (٥: ١٥، ٤). وقد قال إيريناوس في ٥: ١٦، ١: «ثمّ صنع صورة آدم بواسطة هذا التراب الذي هو ترابنا».

(٢) نرى هنا تلميحًا إلى نظريّة الفالنتينيّين في أجناس البشر الثلاثة، وهم: الروحانيّون، والنفسانيّون، والهيوليّون. راجع ١: ٧، ٣ و٨، ٣. وكأنّي بإيريناوس يجد متعةً في التركيز على أنّ البشريّة (بمن فيها الفالنتينيّون) أرضيّة (هيوليّة) الأصل، ومن جهة ثانية على أنّ المسيحيّين (وهم من النفسانيّين في نظر الفالنتينيّين) لا يخجلون من أصلهم.

(٣) «لم يعد»، «لم تعد» وردتا في اللاتينيّة بالصيغة التالية: *jam non sunt, jam non est*، وباليونانيّة: οὐκέτι, μηκέτι وجميع هذه العبارات تشير إلى نقطة الانتهاء في مسيرة معيّنة. وعبارة «مرّة نهائيّة» تذكّر بالكلمة اليونانيّة ἐφάπαξ = مرّةً (واحدةً) التي وردت في عبر ٩: ٢٧ و١ بطرس ٣: ١٨ وحتّى يهوذا ٥.

ـ يُمصّ الحليب بالأصابع ـ وقد صنع تحديدًا لشربه ـ لكي يتغذّى، على نحو ما يتغذّى الطفل بواسطة الثدي، بعده حسده؛ فإذا ما ألفنا، بتناول هذا الحليب، أكلَ كلمة الله وشُربه، أصبحنا قادرين على أن نحفظ في ذواتنا خبز عدم الموت وهو روح الآب» (٤: ٣٨، ١).

وهذا النصّ يتيح لنا فهم الفرق بين الجملتَيْن. فالإنسان ـ وجميع الجنس البشريّ ـ ينمو ويتطوّر في الزمن قبل إدراك الكمال. إلاّ أنّه ما من شيء أساسيّ وضروريّ للنموّ مثل الطعام، وهذا الطعام أُعطي لنا مرّة نهائيّة بمجيء الربّ «الخبز الكامل، خبز الله»، وأعطي لنا بحيث نستطيع «حفظه». بيد أنّه لمّا كنّا غير قادرين على حفظ خبز عدم الموت دفعة واحدة، توجّب علينا أن نألفه وأن نرضعه على دفعات صغيرة، على حدّ ما قاله مجازًا بولس الرسول وإيريناوس[1].

فيليق إذًا بالخبز الآتي من الأرض أن يقبل، بواسطة الدعوة لله، «روح الآب» ويصبح مرّة نهائيّة «خبز عدم الفساد الذي هو روح الآب». كما يليق بأجسادنا الأرضيّة أن نألف شيئًا فشيئًا القدرة على حفظ خبز عدم الفساد هذا. لذلك إنّها تشارك في الإفخارستيّا، فتحمل في ذاتها بذار عدم الفساد[2] وتألفه[3]. ويستطيع إيريناوس القول إنّ أجسادنا «لم تعد قابلة للفساد» لأنّها قبلت «رجاء القيامة».

٤ ـ ونصل هكذا إلى العنصر الأخير: «بل إفخارستيّا» (B) «ولأنّها قبلت رجاء القيامة» (B′). ويمكن الآن أن نفهم بسهولة عدم التطابق التامّ بين شطرَي هذا العنصر الخامس. في الوحدة B تبدأ العمليّة، وتتطوّر وتكتمل بالتمام. أمّا في الوحدة B′ فتبدأ عمليّة موازية، وتتقدّم نحو اكتمال لا شكّ فيه، سوى أنّ تلك العمليّة ما زالت سائرة، وهي آتية دائمًا أبدًا. فما يملكه الإنسان، باشتراكه في الإفخارستيّا، هو عربون القيامة التي التزم الله بها في سبيله، بواسطة ابنه، في الروح القدس. وبذلك يترك الله للإنسان كلَّ المجال الضروريّ حيث

(١) راجع ١ قور ٣: ٢، وضدّ الهرطقات ٤: ٣٨، ٢.
(٢) إنّه بالطبع روح الله الذي يهب عدم الفساد.
(٣) راجع ٣: ١٧، ١.

تستطيع حرّيته التحرُّك في تطوّر الزمن[1]. وكما أنّ الخبز، إذا ما قُبل الدعوة لله، أصبح، على الدوام، «إفخارستيّا مكوَّنة من شيئين أحدهما أرضيّ وآخرهما سماويّ»، فكذلك الإنسان يملك على الدوام «رجاء القيامة». ومن ثمّة، على الإنسان أن يقرِّر: أو أنّه يخضع لله «وينتظر بالصبر من يد صانعه، الذي يعمل كلّ شيء في الوقت المناسب»، أن تدفعه إلى اكتماله؛ أو أنّه «يرفض فنّه ويبدي استياءه من أنّ (الله) صنعه إنسانًا»، فينبذ بذلك «فنّه والحياة»[2]:

«لأنّه أرسل أناسًا يدْعُون إلى العرس، إلاّ أنّ الذين لم يسمعوه حرموا أنفسهم وليمةَ الملكوت» (٤ : ٣٩، ٣).

ز ـ الخاتمة

يمكننا منذ الآن أن نتصوّر مدى أهمّيّة الإفخارستيّا في نظر إيريناوس. ففي نصّ ٤ : ١٨، ٥ نلمس بين السطور أفكاره المحبّبة تلوح على خلفيّة التناسق وتجعلنا ندرك ما فيها من عمق. وبنية النصّ المتناسبة المنسجمة لا علاقة لها بالرغبة في تنميق الأسلوب، بل بنيّة المؤلِّف أن يُظهر، حتّى في النصّ المكتوب، المتانة والتناسق في بناء إيمان الكنيسة.

الإفخارستيّا، في تفكير إيريناوس، تعبِّر «بسبيل مختصر» عن مجمل إيمان الكنيسة وإيمانه الخاصّ، إيمان يتغذّى بتعليم الربّ، هذا التعليم الذي نقلته كرازة الرسل وتلاميذهم. الإفخارستيّا هي الرمز الحقيقيّ للإيمان، وفيها تجتمع سائر حقائق هذا الإيمان. فيها يعلن المسيحيّ إيمانه بالله الخالق، الآب والابن والروح. ولئن كانت يدا الله «أي الابن والروح»[3] حاضرتين عند صُنع الإنسان وقتَ الخلق، فبهما أيضًا «يصبح الإنسانُ على صورة الله ومثاله»، لأنّ الإنسان «لم يُفلت قطّ من يَدَي الله»[4]. وبهاتين اليدين يتحوّل المسيحيّ

(١) راجع الفصول ٣٧، ٣٨، ٣٩ من السفر ٤، وقد خصّصها إيريناوس للحرّيّة، لا سيّما الفصل ٣٩.
(٢) أطلب نصّ ٤: ٣٩، ٢.
(٣) أطلب ٤: المقدمة، ٤.
(٤) ٥: ٦، ١، و١، ٣.

باشتراكه في الإفخارستيّا، يقبل «رجاء القيامة». وفي الإفخارستيّا يعي المسيحيّ أنّه كائن مخلوق في الزمن، يعيش في الزمن، مدعوّ إلى عدم الفساد للأبد، لكنّه متمتّع بالحرّيّة، وبالتالي سيّد مصيره.

وختامًا لدراسة هذا النصّ الأوّل عن الإفخارستيّا، نضيف أنّ إيريناوس اجاد في إقامة البرهان على صحّة أطروحته إذ قال إنّ طريقة تفكير الكنيسة تتّفق مع حقيقة الإفخارستيّا في سائر أبعادها، وإنّ الإفخارستيّا تثبت طريقة تفكير الكنيسة. كما أنّه بيّن أنّ الإفخارستيّا الحقّ لا يمكن ان تقدّم إلاّ في الكنيسة، والأولى بمَن يختلف مع تفكير الكنيسة الاّ يقدّمها. ذلك بأنّ مَن ينكر الوحدة والتناسق في التدبير الإلهيّ، ويقدّم الخبز والخمر في الإفخارستيّا، هو بمثابة مَن يشتم الآب الذي لا علاقة له بأيّ خلق مادّيّ. ومَن يعترف بأنّ «الجسد صائر إلى الفساد ولا شركة له في الحياة»[1] ثمّ يشترك في الإفخارستيّا، فهو مهرّج يضحك على الناس. ومَن ينكر أنّ الإنسان صاحب حرّيّة، يجعل من الإفخارستيّا طقسًا سحريًا يُضاف إلى الطقوس السحريّة الأخرى.°

---

(١) ٤: ١٨، ٥.

(٥) سوف ندرس في قسم ثان نصّ ٥: ٢، ٣.

صدر حديثًا عن «دار المشرق»